معهم، وأخبرني انهم ليسوا أول ناس يهجرون أراضيهم فقد سبقهم نجع آخر.. أي ان هذا النجع هو الثالث.. وقد سألته كيف عرفوا بأمر الزلزال فأخبرني أن أهالي النجع الأول جاءهم انذار، فاستسلموا وهجروا أرضهم على الفور. أما النجع الثاني فقد رفضوا الخروج من أرضهم فحدث الزلزال الذي دمر الخيام والشجر وأهال الرمال على رؤوسهم.. لذلك فان أهالي هذا النجع قرروا الهجرة قبل ان يحدث الزلزال.

جاسر: هذا غريب ألم يخبرك «عمر» كيف يأتي الإنذار بالزلزال!..

ياسر: إنه لا يعرف.. قال لي فقط إن شيخ القبيلة أخبرهم ان عليهم الرحيل. وقد قرروا طاعته!

هند: الغريب في الأمر أنني قرأت كثيرا عن الزلازل ولكني لم اعرف قط ان الصحراء الغربية هذه عرضة للزلزال أو أن الزلزال يحدث في كل نجع على حدة! خاصة وأن النجوع ليست بعيدة عن بعضها، فلا بد وأن تكون كلها في نطاق منطقة الزلزال الواحد.. هكذا يقول العلم، والمنطق!

جاسر: والاغرب من ذلك أن الزلزال يرسل إنذارا لشيخ القبيلة.

هند: وما العمل الآن؟

ياسر: إنني لم أخبركم بباقي القصة.. لقد اخبرني «عمر» أن رؤساء القبائل في الصحراء كلها قرروا اللقاء الليلة في خيمة أحدهم على أطراف النجع التالي والقريب من «عين قطاره» وقد وعدني «عمر» بأنه سيصطحبني الى هناك بعد خروج الشيخ «عمار» من هنا وقد وعدته بأن أصوره عشر صور كاملة، وربما أستطيع ان اعرف شيئا في هذا الاجتماع.

هند: وهل تذهب وحدك؟

وهنا فقز «عجيبة» واقفا وكأنه يستعد للذهاب فقال ياسر: ليس اليوم يا عجيبة، .. كلاب الحراسة كثيرة في الصحراء وقد تشتبك معها وتفسد مهمتي!

جاسر: سنكون في اشد حالات القلق عليك!

علي: لن أسمح لك بالذهاب وحدك.. فأنا هنا مسؤول عنكم!!

ياسر: اطمئنوا! ليس في هذه الرحلة أي خطر. إنهم إناس طيبون جدا وبؤساء جدا!

واسرع «ياسر» الى السيارة فأحضر بطاريته واستعد جيدا وقال: هيا نجلس أمام باب الخيمة حتى يعرف «عمر» مكاني!

جلسوا يتحدثون أمام الخيمة وقالت هند: فهمت الآن لماذا كان

«عجيبة» ينبح قبل هبوب العاصفة. ان الكلاب دائما تشعر بالزلازل قبل حدوثها.

ياسر: لقد كان الزلزال هو الذي جعل سيارتنا تهتز اكثر من مرة.. ولذلك لم تغرس عجلاتها في الرمال. إنه زلزال وليس عاصفة كما تصورنا!

هند: أنا لا أتصور زلزالا ينذر الناس قبل حدوثه!

جاسر: خصوصا أنه ليس هنا أي آلات إلكترونية تنذر بالزلازل.

جاسر: أمر غامض.. غامض تماما!

هند: وهكذا القضايا الغامضة تطاردنا حتى وسط الصحارى !

ياسر: فكري يا «ملكة التفكير»!

ونبح « عجيبة » ووقف مستعدا. ونظروا: كان « عمر » يقف قريبا، وأسرع إليه ياسر، قال « عمر »: هل أنت مستعد ؟ لقد خرج الشيخ عمار وابنه الآن ! هل نذهب وراءهم !؟

ياسر: طبعا.. هل أنت خائف؟!

عمر: أنا.. إنني أقلب الصحراء كلها طوال الليل وأعود كالشياطين! إنني أحفظ طرقها ودروبها وكل حبة رمل فيها عن ظهر قلب!

ياسر: حسنا.. هيا بنا!

وكأنهما شبحان غامضان. اخترقا الظلام وسارا سريعا إلى قلب الصحراء.. ولم تمضِ لحظات حتى كانا قد غابا عن عيون جاسر وهند وعلي، وأطلق «عجيبة» نبحة عالية.

وربت «جاسر» على ظهره ليصمت.. ونظر الى شقيقته ونظرت إليه وعبرت نظراتهما عن الخوف العميق..

ترى ما الذي يمكن أن يحدث «لياسر» وهو يمضي في مكان غريب لم يزره من قبل ولا يعرفون فيه أي اتجاه أو طريق.. متى يعود وهل يتأخر.. واذا عاد فهل يأتي ومعه ما يزيح الغموض عن لغز هذه الزلازل الغريبة..

وأخذت هذه الأفكار تعصف برأس الشقيقين حتى قال جاسر، أخيرا:
اذهبي أنت إلى النوم، أما أنا فسأبقى مع علي وعجيبة لحراسة السيارة.من يدري فقد تغري الأولاد أو الغرباء بالتسلل إليها.

هند: هل توقظني إذا عاد ياسر؟

جاسر: طبعا.. هيا إلى النوم.. وسيحرسنا جميعا عجيبة.

ومضت هند إلى داخل الخيمة.. ولكن النوم.. أين هو النوم؟!

هل يزور جفنيها وهي تشعر بكل هذا القلق على شقيقها ياسر الذي يمضي الآن كالفارس الشجاع وسط الصحراء.. والمجهول!

في الطريق الى المجهول..

لم تدر «هند» كم مضى من الوقت وهي تحاول النوم، فقد أخذت الافكار السوداء تقتحم افكارها وتذكرت كل الأخطار التي حدثت في الصحراء. ومصير كل من حاول غزوها.. تذكرت جيش « قمبيز » الذي أرسله من طيبة — الأقصر حاليا — ليغزو واحة سيوة ويؤدب أهلها، ولكن عواصف الصحراء قضت تماما على الجيش المكون من خمسين الف محارب ودفن في رمال الصحراء، وبرغم مرور اكثر من ٢٥٠٠ سنة على هذا الغزو فان «سيوة» ما زالت تحتفظ بسره الذي لم يعرفه أحد حتى الآن، فهل يحدث يا ترى «لياسر» ما حدث لجيش «قمبيز»!

وأخذت الخواطر الكئيبة تحيط بها، ان اشهر جبل في المنطقة اسمه «جبل الموت» يا له من اسم كئيب! لقد أطلقوا عليه هذا الاسم لانهم عثروا فيه على مقابر فرعونية قديمة قدم الزمان.. لماذا لا تتذكر الآن إلا هذا الإسم؟ ان في الصحراء أماكن اخرى جميلة.. ومناطق رائعة.. النخيل.. والزيتون.. والآثار القديمة فلماذا لا تتذكر

الآن إلا الخطر والموت..؟!

ومضى الوقت ثقيلا.. ثقيلا.. ولعل «هند» قد استغرقت في النوم وسط هذه الأفكار السوداء. ولكنها فجأة شعرت بكل اعصابها تنتبه.. لقد احست بحركة في الخيمة. ولم تفتح عينيها.. انتظرت لتتأكد.. وتأكدت.. كانت هناك يد تمتد بجوارها، وفكرت لعله «جاسر» جاء ليوقظها ولكنه.. لا.. إنه لن يتسلل هكذا.

وشعرت باليد تقترب من فراشها شيئا فشيئا وتدس تحت غطائها شيئا صغيرا. ولم تنتظر أكثر من ذلك، قفزت «هند» جالسة، وقبضت بسرعة على اليد التي تحت الغطاء، وسمعت صرخة خافتة.. ونظرت إلى صاحب اليد.. وتركتها في الحال.. كانت طفلة صغيرة، واحدة من الجرحى التي رعتها وضمدت جراحها.. وكانت عيناها الواسعتان السوداوان الجميلتان تنظران إلى « هند » في خوف شديد.

قالت لها «هند» في دهشة: ماذا تفعلين هنا يا صغيرتي؟

أشارت الصغيرة بيدها إلى الشيء الذي دسته تحت الغطاء وقالت:
لقد أردت أن أشكرك فأتيت إليك بهذه الهدية، إنها لعبتي التي ألعب بها!

أمسكت «هند» بالهدية، كانت تمثالا صغيرا من الطين أشعلت مصباح الغاز وابتسمت في وجه الصغيرة وربتت شعرها.. كان طويلا،

وقد صنعت منه ضفائر رفيعة وعديدة مثل كل فتيات الواحات وقبلت الطفلة.. وشكرتها وأعطتها بعض الحلوى..

أخذت «هند» تفكر في بساطة هذه الطفلة، واهتزت عواطفها لهذا التصرف البريء العظيم وقامت من فراشها وخرجت إلى خارج الخيمة لتخبر «جاسر» بما فعلته الصغيرة.. ولكنه لم يكن بالخارج، ودارت حول الخيمة وتفقدت السيارة.. لا أثر «لجاسر» ولا «عجيبة» أين ذهب هو الآخر؟!

وهل يتركونها وحيدة؟! كان الظلام يحيط بالمكان و«علي» يغط في نوم عميق.. خشيت ان تسير فتضل طريقها، فعادت إلى داخل الخيمة.. جلست بجوار المصباح الغازي.. وأخذت تتأمل لعبة الطفلة الطينية، وكانت تمثل تمثالا كأنه الكاتب المصري القديم، وحملته في يدها، وشعرت بأن في التمثال شيئا غريبا، وحركته في يدها وهي تحاول أن تجد ما هو الغريب فيه! في الحال اكتشفت ان التمثال ثقيل.. أثقل من أن يكون من الطين، ولمعت في خاطرها فكرة.. وأسرعت تخرج من جيبها المطواة الصغيرة التي تحتفظ بها لفتح المعلبات، وبدأت تزيل الطين.. واستجاب لها بعد قليل. فقد كان صلبا على غير العادة وأخذ الطين يتناثر لتظهر تحته قطعة لامعة صفراء، لامعة براقة، قطعة بلا شك من الذهب الخالص..

وذهلت «هند».. كان تمثالا ذهبيا ثمينا.. مغطى بطبقة سميكة

من الطين، ترى هل يعرف الأطفال الذين يلعبون به هذه الحقيقة؟ ومن اين اتوا به.. أين «جاسر»..؟ أين «ياسر» إنها تريد أن تخبرهما بهذا الاكتشاف الخطير..

وسمعت همسا قادما، فأسرعت تخبئ التمثال تحت المرتبة الموضوعة على الارض ونظرت الى ساعة يدها، كانت تقترب من الثالثة.. ترى من القادم ؟ واضطرب كل جزء في جسمها.. ولكن رأس «عجيبة» الذي امتد من باب الخيمة أعاد الطمأنينة الى نفسها، ومن ورائه كان «جاسر» ثم «ياسر».. وصاحت «هند» صارخة: أين كنتم؟

جاسر: لقد تأخر «ياسر».. وشعرت بالقلق، فتجولت باحثا عنه.. ومن حسن الحظ أنني قابلته عائدا.

ياسر: المهم الآن ما أحمله من أخبار.

هند: تحدث بسرعة..

ياسر: باختصار.. لقد سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى خيمة كبيرة بين مجموعة من النخيل قرب عين من العيون.. وهي على سفح جبل لم أره في الظلام أو أتوقع وجوده.. وكان عدد المجتمعين في الخيمة كبيرا، تسللت ونظرت من أحد الشقوق.. للأسف الشديد إنني لم أستطع أن أفهم اللغة التي يتحدثون بها.. إنها سريعة جدا وكأنها اللغة النوبية

ولكني فهمت من تعبيرات وجوههم، ومن كلمات قليلة استطعت أن أسمعها.. أن هناك خطراً يهدد كل النجوع في هذه المنطقة وكان أحدهم يتكلم والجميع يهزون رؤوسهم موافقين ما عدا «عامر» ابن الشيخ «عمار» الذي كان يقف معترضا بين وقت وآخر، ومهددا بكلام لم أفهمه، ولكن أباه كان يأمره بالسكوت.. ثم ارتفعت الاصوات على شيء لم أعرفه، وعندئذ خرج «عامر» غاضبا وهو يخرج مسدسا من جيبه، وجرى خارج الخيمة ثائرا.

وعندما بدأوا يتركون الخيمة أسرعت أنا و«عمر» عائدين وسألته عن معنى الذي حدث فهز رأسه وقال: ان «عامر» يرفض الرحيل على عكس الباقين الذين وافقوا، وإن شيخ المشايخ قد وافق على أن يترك للشيخ «عمار» مهلة اليوم كله حتى يقنع ابنه بالرحيل.. ولم أعرف منه أكثر من ذلك.

نظر بعضهم إلى بعض في صمت ثم قالت «هند»: أنا أيضا عندي بعض الأخبار الهامة. أنظروا.

والقت التمثال الذهبي بين أيديهم وبهتوا وحملقوا فيه بذهول.. وقصت عليهم «هند» ما حدث!! غرقوا في افكارهم قليلا ثم سأل «ياسر»: ما هو تفسير كل هذه الأحداث؟!

هند: عندي تفسير لها.. سأخبركم به في الصباح، وما دام معنا يوم آخر قبل الرحيل فسيكون عندنا الوقت للتحرك.

واستلقى كل منهم على فراشه، ووضعت «هند» المصباح بجوار فراشها، وأخرجت كتابا واستغرقت في القراءة.. حتى غلبها النوم.

واستيقظت على ضوء الشمس الذي يغمر المكان، وكان شقيقاها في انتظارها يجلسان بجوار فراشها في سكون.. وقفزت جالسة.. قالت «هند»: سأعد الافطار فورا.

أجاب «ياسر»: وهل كنا ننتظر بدون طعام حتى الآن؟ هيا إلى عين الماء لتغسلي وجهك.. الطعام جاهز هنا.

ونظرت الى جانب الخيمة.. كان اللبن الطازج مع الجبن والتمر والعيش الساخن في انتظارها.. في لحظات عادت وقد استردت كل نشاطها. قالت وهي تتناول الطعام: لقد اصبحت عندي نظرية لما يحدث هنا.

جاسر: وأنا أيضا، ولكن تحدثي أنت أولا.

هند: كنت أقرأ في كتاب عن تاريخ الواحات أحضرته معي، ولقد عرفت أن الاسكندر الأكبر قد اختار نفس الطريق هذا ليزور الإله «آمون» في واحة سيوة.. وقد ضل الطريق مدة سبعة أيام في هذه الأماكن حتى نجح في الوصول الى هناك

واعتقد أن بعض الكنوز قد فقدت منه في الصحراء هنا في هذه المنطقة، الدليل على ذلك هذا التمثال الذهبي، ومن الممكن أيضا أن تكون هذه المنطقة مليئة بالذهب وأن الأهالي القدماء كانوا يصنعون منها التماثيل ويغطونها بالطين، المهم أن في الصحراء الآن ثروة ذهبية ضخمة، وأيضا، فيها حاليا عصابة خطيرة تحاول الاستيلاء على هذا الذهب..

ياسر: كيف؟

هند: ان العصابة على مستوى عال جدا، إنها تستعمل الأجهزة الاليكترونية الخطيرة لتسبب الزلازل في المنطقة التي تريدها حتى تخيف الأهالي فيرحلون عنها تاركين لها المكان لتبحث عن الذهب بدون أن يراها احد.

ياسر: هل هذا ممكن؟!

جاسر: طبعا. وأنا متفق مع «هند» في كل ما تقول، وكان هذا رأيي الذي سأخبركم به، وقد قرأت كثيرا عن تأثير الاليكترونيات على الطبيعة، وطبعا تعرفون أنه امكن صناعة مطر صناعي، فلماذا لا تكون هناك زلازل صناعية.

هند: هذا ما فكرت فيه.

ياسر: والحل يا «ملكة التفكير»؟!

هند: هناك طريقان الأول والأسرع ان نتصل لاسلكيا بعمي، أما الثاني فسأخبركم به إذا لم ننجح في الاتصال بالشرطة!

جاسر: ليس لدينا وقت نضيعه. هيا يا « ياسر » لقد أكلت ما يكفي جملا اليوم، تعال نحاول الاتصال بعمي عماد!

أسرع الثلاثة إلى السيارة الجيب وأخرج «ياسر» جهاز اللاسلكي وأعده للاستعمال وأخذ يوجهه الى الموجة المتفق عليها.. ونادى ولكن صوتا لم يستجب له.. نظر الى شقيقيه في دهشة.. تقدم «جاسر» وأخذ يجرب استعمال الجهاز ولكن أحدا لم يرد عليه، الا بعض أصوات كأنها صفير الرياح!

ياسر: الجهاز لا يعمل..

جاسر: لا.. ولكنه يقع تحت منطقة من التشويش فلا يمكن أن تتحدث أو تسمع منه.

ياسر: والعمل؟!

هند: الخطة الثانية، علينا الاتصال بالشاب الثائر « عامر » وأن نقنعه بأن يساعدنا في القضاء على هذه العصابة بأنفسنا.

جاسر: هل تعتقدين أنه سيوافق؟

هند: ليس أمامنا حل آخر.

قفز «ياسر» واقفا وقال: انتظروني، سأحضر «عمر» وأقنعه بأن يذهب معي الى «عامر»

جاسر: وأنا سأحاول اصلاح اللاسلكي

أخذت «هند» تنظر إلى «ياسر» وهو يبتعد وتفكر هل ينجح في الاتصال بابن شيخ القبيلة وانتبهت على صوت «جاسر» وهو يقول: سأترك اللاسلكي مفتوحا فقد يذهب التشويش ونستطيع الاتصال بالمفتش «عماد».

ولم يمض وقت طويل حتى كان «ياسر» يقترب عائدا من السيارة ومعه «علي» و«عامر».. وكان وجه ياسر متفائلا في حين أن الشاب تظهر على هيئته علامات الثورة الشديدة.

قال «ياسر» وهو يقدمه إلى شقيقيه: لم أجد أية مشقة في اقناع «عامر» بالتفاهم معنا، إنه مستعد للتعاون.

عامر: طبعا أنا تحت أمركم في أي عمل ننقذ به اسمنا وأهلنا وأرضنا.

ان أهلي كلهم شجعان، ولكنهم لا يستطيعون مواجهة هذه الزلازل، فهي شيء لا يحارب.

جاسر: طبعا ولكننا نستطيع مواجهة من يصنع الزلازل، سأوجه اليك الاسئلة فهل تجيب عليها؟!



عامر: تحت أمرك.

جاسر: كيف تصل الإنذارات إلى القبائل؟

عامر: يأتي رجل أعرابي فقير إلى شيخ القبيلة ويطلب منه الرحيل مع قبيلته وإلا هدمت الزلازل بيوتهم وأرضهم وشجرهم وهذا الأعرابي لا يقول أبدا أكثر من ذلك ويبدو عليه الخوف القاتل.. في أول الأمر لم يعبأ به أهالي النجوع القريبة فاذا بزلزال يطيح بكل ما فيها ومن فيها وكان كافيا لأن يطيع بقية الأهالي الانذار بمجرد وصول الأعرابي اليهم. وقد تأكدوا من أنه رجل يستطيع أن يتنبأ بالغيب، ولذلك يعلم بموعد الزلزال!

ياسر: الا تعرف أنت أين يقيم هذا الأعرابي !

عامر: لقد تسللت وراءه عندما زار والدي لأعرف مكانه، سار طويلا في الصحراء، حتى وصل الى « جبل الموت »، ثم تسلل إليه، واختفى في احد كهوفه، ولكني لا أعرف أي كهف منها !

جاسر: هل يمكن ان تصحبنا الى هذا الجبل؟ يجب أن نتسلل اليه، ونعرف من يقابل هذا الأعرابي هناك.. واذا كان ما نفكر فيه صحيحا، فسوف ننقذ الصحراء من الزلازل، ومن هم وراءها!

عامر: طبعا يمكنني الذهاب بكم! هل نذهب الآن؟

جاسر: هذا أفضل، سنبدو في ضوء النهار وكأننا مجموعة من الكشافة وقد ضلت طريقها.

وهكذا قسم المغامرون أنفسهم، مضى ياسر وعلي مع عامر.. وأسرع وراءهم عجيبة.. بينما تقرر أن يبقى جاسر مع هند.

هند: اطمئنوا علينا.. إننا في أمان هنا.. الله معكم.

وكانت هند تحاول ان تقنع نفسها بأنها شجاعة، فقد كان عليهما ان ينتظرا ساعات طويلة ورهيبة حتى يعرفا النتيجة، فها هم أولاء يذهبون إلى مصير غامض مجهول يواجهون وهم العزل عصابة مزودة بأعلى مستوى من الأجهزة الاليكترونية، ولكنها كانت تعرف إنهم يحاربون

من أجل قضية عادلة دفاعا عن أهلها.. وبلدهم وكنوزهم التاريخية العظيمة.

ولمعت عيناها بالخوف والثقة بالنصر!

حاجز الموت!

كان «ياسر» يفكر في نفسه، لقد فهم الآن معنى كلمة يقطعون الصحراء ويطوون البيداء.. فقد كان يسير مع «عامر» و«علي» فوق الرمال التي ترتفع حينا وتنخفض احيانا قاطعا مئات الامتار وساقه تنزل حتى لا يستطيع أن يرفعها من ثقل الرمال.. والساعات تمضي والحرارة تشتد. والشمس ترسل لهيبها فوق رأسه.. وتساءل كيف يعيش هؤلاء الناس هنا، يقضون العمر كله في مثل هذه الحياة. وشعر بالاعجاب الشديد بهم لهذه القدرة العظيمة، وفجأة تنبه من أفكاره إلى أن الأرض قد بدأت تنبسط تحت قدميه والحشائش تنحدر متناثرة في أول الأمر ثم أصبحت أرضا زراعية كبيرة وكأنها مرعى غني بالخضرة والجمال.. الخضرة التي ترتفع شيئا فشيئا حتى تصل الى ما يقرب من منتصف جبل هائل الحجم اصبح الآن يواجههم تماما..

قال «عامر» وهم يقتربون من الأرض الخضراء: لقد أتيت وراءه حتى هنا، ورأيته وهو يتسلق الأرض الصخرية صاعدا الى

الجبل مثل القرود، ثم اختفى في مكان ما في مواجهتنا تماما.

توقفوا، ونظروا حولهم، كانت أشجار النخيل تتناثر أيضا محيطة بالجبل.

قال «علي»: يبدو أن المياه هنا كثيرة.

عامر: نعم.. إن عيون الماء تتناثر هنا بين أشجار النخيل، وهي تمتد كلما اتجهنا جنوبا في الطريق الى سيوة..

ياسر: أعتقد أننا لم نأت الى هنا لنتمتع بجمال الطبيعة، هيا نتحرك الى الامام.

ولم يتم كلمته ولم يتقدم خطوة أخرى حتى سمع صوت صفير حاد يمر بجوار أذنه فصاح: انبطحوا.. انه صوت رصاص

ارتموا على الأرض وأخذوا يتدحرجون عائدين ليحتموا ببعض أشجار النخيل.

وصمت صوت الرصاص وجلسوا خلف الأشجار.

استطرد «ياسر» قائلا: لقد تحقق ظننا، إنها عصابة مسلحة خطيرة، جاءت تهدد حياة البسطاء!

عامر: إن معي مسدسا أنا أيضا.

«علي»: أرجو الا تستعمله ثم إنه لا يكفي وحده أمام هذا السيل من طلقات النار

عامر: وماذا نفعل الآن؟

ياسر: ما رأيك؟.. نتسلل من جانب آخر.

أخذوا يجرون وسط الاشجار محاذرين أن يرى أحد تحركاتهم حتى ابتعدوا كثيرا عن موقعهم الأول ثم اخذوا يخرجون في محاولة لغزو الجبل!

ولم يسيروا أكثر من خطوات قليلة حتى بدأ سيل من الرصاص يتناثر حولهم، ومرة أخرى ارتموا على الأرض وأسرعوا عائدين إلى النخيل.. نظر بعضهم الى بعض ليطمئن كل منهم على الآخر. وتنهدوا في يأس.. فجأة تذكر «ياسر» أن «عجيبة» غير موجود معهم فصرخ: عجيبة عجيبة.

وسمع نباحا بعيدا..

ونظر بحذر من وراء النخلة.. كان «الكلب الذكي» يجري عند سفح الجبل وراء بعض الماعز.

وهتف «علي»: غريبة! كيف استطاع التسلل الى هناك؟!

ياسر: لعلهم لا يضربون الا البشر. إسمعوا.. انني أفكر في شيء مهم، لا يمكن طبعا أن يكون هناك أفراد من العصابة تكفي

لحماية الجبل كله. لا بد أنهم يملكون أجهزة آلية لرقابة الطريق، ولضرب كل انسان يحاول الدخول الى المنطقة الجبلية.. هذه الأجهزة لها مدى معين أي أنها تصيب الأشخاص في المكان الذي يصل اليه هذا المدى وهو المكان الذي يحيط بالمنطقة الخضراء، فاذا استطعنا اختراق هذا الحاجز فستتمكن من الوصول إلى الجبل !!

عامر: واذا استطعنا أن نتسلل.

ياسر: مستحيل، إن هذه الأجهزة بلا شك سوف تنذرهم بوصولنا، وسنجدهم في انتظارنا بالأحضان طبعا!!

عامر: الحل الوحيد أن نتسلل بدون أن يشعروا بنا.

« علي »: كيف ؟! إنهم يحاصرون الجبل بآلاتهم الرهيبة من كل ناحية، ولن نتمكن أبداً من اختراق حاجز الموت هذا !!

ياسر: لا.. سنتمكن من اجتيازه تماما كما اجتازه «عجيبة» وكما عبرته هذه الأغنام!

وصاح «عامر» و«علي» في وقت واحد: ماذا تقصد؟

التفت «ياسر» الى «عامر» وقال: هل عندك بعض الأغنام؟

ثم أكمل ضاحكا: سوف نستعمل نحن أيضا التكنولوجيا. ولكنها تكنولوجيا بدائية!

عامر: طبعا..

ياسر: وهل تملك بعض جلود الخراف الكبيرة؟!

عامر: وهل تخلو خيمة منها!!

ياسر: حسنا. ما رأيك في أن تحضر هذه الجلود وبعض الاغنام، ونضعها علينا كأننا من الأغنام التي ترعى هنا، ونتسلل وسطها إلى الجبل كما فعل «عجيبة»!

عامر: فكرة رائعة!

ياسر: أرجو أن تنجح!!

عامر: سأحضر في أسرع وقت ممكن..

وأسرع عائدا الى الخيام في حين بقي «ياسر» و«علي» ينظر أحدهما الى الآخر في تساؤل صامت، وكأنهما يتساءلان.. هل يعود؟ وإذا عاد، هل تنفع هذه الخطة؟!

أخذ «ياسر» يقضي الوقت في أكل البلح الذي يتساقط من فوق أشجار النخيل وأخذ «علي» يحاول أن ينظر الى الجبل من خلال النخيل لعله يستطيع أن يرى أو يلمح شيئا يدله على مكان العصابة، وكان ينظر بدون فائدة، فالجبل صامت وبعيد لا تلوح فيه بادرة حياة ولا تلمح فيه بابا ولا منفذا

والعجيب أنه لم يمض وقت طويل حتى سمعوا صوت أغنام تقترب..

وتساءل «ياسر»: هل عاد «عامر» بهذه السرعة؟!

وظهر «عامر» وكان في ظهوره تفسير لحضوره السريع، فقد كان يركب جملا، وقال وهو ينزل من فوقه: لقد مررت على «هند وجاسر» وطمأنتهما حتى لا يقلقا مع مرور الوقت!..

شكره الاثنان.. إنه يفكر في كل شيء.

أخذوا جلود الخراف وثبتها كل واحد للأخر حول جسمه ورأسه جيدا ببعض الحبال التي احضرها «عامر» معه. واندسوا وسط الأغنام وهم يحرصون على أن ينحنوا قدر طاقتهم حتى يكونوا في حماية بقية الخراف، فلا يصيبهم الرصاص اذا أطلقوه عليهم.. وببطء أخذوا يتحركون وسط القطيع الصغير الذي انطلق بدون توجيه الى المرعى الأخضر. كانت قلوبهم تدق في صدورهم وهم يجتازون خط الموت الأخضر، هل تنجح الفكرة؟ ويعبر الثلاثة بسلام.

ولم يشعروا إلا وهم وسط السهل الأخضر وسط الأغنام، لقد نجحوا.. عبروا الخطر، إنهم الآن في أمان، ولم يتحدث واحد منهم إلى الآخر، ولكن «عامر» الخبير بالأغنام كان يحث أغنامه على الاقتراب — وهم بينها — شيئا فشيئا من الجبل. وفجأة حدث ما لم يتوقعه الثلاثة.. لقد ظهر «عجيبة».. وهمس «ياسر» من بين أسنانه: لقد ضاع كل ما بنيناه. فقد كان متأكدا أن «عجيبة» سوف يعرفهم على

الفور وسيقفز وينبح نباحا يكشف حيتلهم بغير شك..

ولكن العجيب بل المذهل أن «الكلب» اقترب منهم في صمت لم ينبح ولم يقفز، بل أخذ يتمسح في «ياسر» تارة وفي «علي» أخرى وفي نظراته تعبير غريب..

وهمس «ياسر» نفسه: يا كلبي المخلص العزيز، أنت تفهم ما نفعل، يا عزيزي كم أود أن أحتضنك بين ذراعي.. أنت أذكى كلب في العالم. ولكن عيون «عجيبة» كانت تقول شيئا آخر.. ينظر إليهم ثم يسير مبتعدا، وينتظر فإذا لم يتحركوا، يعود لينظر إليهم مرة أخرى ويجري في بطء.

وقال «ياسر»: إنه يريدنا أن نتبعه..

اقترب من «عامر» وطلب منه أن يقود الأغنام وراء «عجيبة»، وبمهارة، تحولت الأغنام في طريقها وراءه ودار حول الجبل ثم توقف ونبح نباحا هادئا بطيئا واختفى!

وراءه سارت الأغنام، كانت هناك فتحة في الجبل كبيرة ومظلمة، ولكن نباح «عجيبة» الخافت كان يناديهم.. وأنصتوا.. صوت آخر غير صوت الكلب، صوت أنين خافت!!

ونسوا حذرهم وقفزوا إلى داخل الكهف، وعلى الضوء البسيط رأوا أن الكهف كبير واسع وبه سيارة جيب ضخمة متينة كان الصوت ينبعث منها، و«عجيبة» يقفز وينظر من نافذتها الى الداخل..



أسرعوا إلى السيارة. فتحوا بابها، كان في داخلها رجل يئن. وأشعل «ياسر» بطاريته وسلط ضوءها إلى جهة الأنين ورأى رجلا ملقى على ظهره وقد شد وثاقه برباط متين وعلى فمه قطعة ضخمة من «البلاستر» وقد كاد يختنق.

أسرع إليه الثلاثة يتعاونون في فك وثاقه، ورفعوا عن فمه «البلاستر» بكل صعوبة وكان على وشك الإغماء عندما أخرج «ياسر» من جيبه أنبوبة من النشادر وضعها على أنفه!

أفاق الرجل ونظر إليهم برعب وقال: من أنتم؟ كيف تمكنتم من الوصول إلى هنا؟!

تذكروا فجأة أنهم ما زالوا يضعون فراء الخراف على أجسامهم..
تخلصوا منها وقال ياسر: نحن الذين نوجه لك هذا السؤال؟

من أنت وكيف أتيت الى هنا؟

وصاح «علي» هامسا: ماذا جاء بك هنا يا أسطى سماحة؟

نظر إليه الرجل مندهشا.. وقال: علي.. كيف جئت أنت الى هنا؟!

قال «علي»: إحك لنا أنت أولا.. ماذا حدث بالتفصيل.

ياسر: لا داعي لأن نضيع الوقت في الكلام فقد يفاجئنا أحد!

سماحة: سأحكي لكم باختصار.. لقد حضرت الى هنا مرغما فقد اتفقت مع أربعة من السياح على رحلة إلى مرسي مطروح

ولكنهم هددوني بالقتل حتى وصلنا الى هنا، وفي أول الأمر حاولت ارضاءهم واقناعهم بأنني سأتعاون معهم، حتى رأيتهم يجمعون كنوزا هائلة من الارض، كنوز بلادنا فكاد يصيبني الجنون، وفي لحظة اندفعت الى الكهف الذي يضعون فيه أجهزة الزلازل والإنذار التي يخيفون بها الأهالي المساكين، لأحطمها ولكنهم فاجأوني فقيدوني هنا.

ياسر: ولماذا لم يقتلوك؟

سماحة: أعتقد أنهم يحتاجون إلى سائق بعد انتهاء مهمتهم.

ياسر: يجب أن نتحرك فورا، هل تعرف الكهف الذي به هذه الآلات وأين أفراد العصابة الآن؟

سماحة: أفراد العصابة أربعة لا غير، ولكنهم يستعينون بأجهزة رهيبة وضعوها في كهف صغير، وقد جلسوا هم في كهف آخر ومعهم أجهزة أخرى للتحكم في الزلازل وتحريكها وتحويلها إلى المكان الذي يريدون.. وكهف الأجهزة قريب من هنا، في حين يجلسون هم في مواجهة الواحات..

ياسر: هيا بنا.. يجب أن نصل إلى كهف الأجهزة فورا.

ربت «ياسر» على ظهر «عجيبة» شاكرا وتقدم «سماحة» المجموعة، ووراءه «عامر» الذي كان يتسلق الجبل مثل القرود، ثم « ياسر » و « علي ».. ولم يكن الأمر سهلا، فالجبل املس في بعض

الأماكن لا يكاد يستطيع أحد أن يمسك به فكان عليهم البحث عن مكان آخر.

وكانت الشمس قد بدأت تغيب ويظلم الكون، ولكن كان عليهم الوصول بسرعة قبل ان تكتشفهم العصابة. ولا يبقى أمامهم إلا الموت، وبمشقة وجهد رائع كان الاربعة يتقدمون خطوة وراء الاخرى. حتى توقف اخيرا «سماحة» وقال مشيرا الى فتحة في صخور الجبل: هنا.. وتقدم « ياسر » ممسكا ببطاريته.. وصرخ « علي »: انتظر.

وتوقف الجميع وسلط «ياسر» ضوء بطاريته على سلك دقيق في الأرض وقال: هذا السلك، واحد من اثنين إما أنه سلك كهربائي ليحمي الكهف أو سلك للانذار يدق اذا عبر أحد من فوقه.

سماحة: يبدو أنه سلك انذار فعلا، إنه هو الذي نبههم الى وجودي في الكهف؟

وسأل «عامر»: وما العمل الآن؟

ياسر: يجب أن نتخلص منه أولا !

«علي»: كيف؟

ياسر: انتظر.

أمسك بالبطارية وسار وراء السلك. لم يزد سيره على مترين ثم انحنى على الأرض.. وقال لعلي: ابحث حولك عن قطعة من الخشب.

وبحثوا جميعا حتى عثروا على قطعة خشبية متينة وامسك «ياسر» قطعة الخشب وقطعها بالمطواة الى نصفين ثم استعمل المطواة وكأنها « مبراة » ليشحذ بها القطعتين.. فأصبحتا كالسكين.

كان الثلاثة ينظرون إليه وكأنه أحد الحواة، وأزاح قطعة من الصخر وتحتها ظهر جهاز صغير يخرج منه السلك، وبمهارة شديدة استعمل « ياسر » قطعة الخشب ليسند بها الجهاز والاخرى ليجذب السلك بهدوء شديد ودقة ومهارة.. وتعلقت الانفاس بقطعة الخشب وهي تجذب السلك شيئا فشيئا حتى سمعوا صوت تكة خفيفة ثم انفصل السلك عن الجهاز. وقف «ياسر» وتنهد بعمق وقال: الآن يمكننا اقتحام الكهف.

وسأل «سماحة»: ألن ينطلق جرس الانذار ؟

ياسر: لا.. إنه ينطلق عندما يمر فوقه جسم متحرك، والخشب موصل رديء للكهرباء ولذلك استعملته لفصل السلك عن الجهاز. وأسرعوا عائدين إلى الكهف واحدا واحدا وأمام مجموعة من الآلات والعدد الغريبة تملأ الكهف وقفوا في ذهول وقال «ياسر» خسارة أن ندمر هذه الآلات أو نحطمها..

وتحرك قلقا وقال: لا.. ليست خسارة يجب أن ندمرها فورا، لا وقت لدينا.

وفجأة اندفع «عامر» الى الآلات وفي يده حجر ثقيل يحطمها ويدمرها ويحيلها الى مجموعة من الأسلاك ومعه اندفع الباقون.

قال «ياسر»: كنت اتمنى أن نأخذها معنا ليدرسها «جاسر».

عامر: لا، إنها آلات شيطانية من صنع الشيطان.

وفي دقائق كانت الآلات الرهيبة قد تحولت الى كومة من الحديد والزجاج والاسلاك وكان «عامر» يرقص فوقها وهو يقول لم تعد هناك زلازل.. لن نرحل عن الأرض.. لن نرحل.. لن نرحل.

وأمسك «ياسر» به يوقفه عن الضجيج وقال له: هيا بنا. يجب أن ننهي مهمتنا ونقبض على أفراد العصابة قبل أن ينتبهوا الينا!

وبدأ الأربعة يخرجون من الكهف واحدا واحدا كما دخلوه.. وكانت خطتهم ان يدوروا حول الجبل لينقضوا على الكهف الذي تجلس فيه العصابة.. فجأة ومن قلب الظلام اندفع كشاف ضخم يطوف بالجبل ويتوقف عندهم واحدا ثم الثاني وهكذا.. وصاح « ياسر »: ليختف كل واحد منكم وراء صخرة. وأسرعوا يختفون وراء الصخور والكشاف يطوف بهم باحثا عنهم، ومن فوق قمة الجبل، ومن أربع جهات، بدأت طلقات الرصاص تنهال عليهم، وصرخ « ياسر » صرخة.



وكانت هذه خطة «ياسر» ان يدفعهم للنزول إلى مكانهم، ونجحت الخطة.. وعندما وصل افراد العصابة وجدوا أنفسهم يسقطون تحت ثقل أربعة أجسام أخرى التحمت بهم بالايدي بعد أن أسقطت منهم الأسلحة النارية.. ودار قتال عنيف استعمل «ياسر» فيه كل فنون الكاراتيه التي يتقنها، ولكن الأعداء كانوا ايضا يمتازون بالقوة.. فجأة ارتفع صوت في الفضاء وبدأ المكان يلمع بالاضواء.. كان صوت طائرة هيليكوبتر تقترب وهي تقذف بعشرات من القذائف المضيئة، وأصبح المكان مضاء وكأنه في قلب النهار.. ونزلت الطائرة، ونظروا اليها في ذهول ومن قلبها قفز عشرات الجنود.. وكانت هذه هي اللحظة التي تمكن فيها افراد

العصابة من الهرب والجري بعيدا عن المكان.. ما عدا واحدا فقط كان «عجيبة» يمسك بساقه بين فكيه بكل قوة، والرجل لا يملك الا الصراخ وقريبا منه كان «ياسر» قد سقط ودمه ينزف وهو يمسك كتفه ويمنع نفسه من الأنين. ولكنه شعر بالدوار وكاد يسقط من مكانه عندما شعر بساعدين تحتضنانه وتمنعانه من السقوط ونظر إلى صاحب الساعدين فلم يصدق نفسه. كان المفتش «عماد» يبتسم في وجهه ويقول: إطمئن لن يهربوا بعيدا.. ان الجنود يحيطون بالمكان كله.

جهاز الانقاذ!

.. وبعد ساعات جلس المفتش «عماد» وسط اصدقائه في الخيمة الكبيرة بعد ان ضمدوا جرح «ياسر» الذي حدث نتيجة لأصابة سطحية من رصاصة في كتفه وابتسم «عماد» وقال: من يصدق، لقد بدأتم رحلة عادية، انتهت بأغرب مغامرة في قلب الصحراء.

سأله «ياسر» كيف وصلت الى هناك؟

أشار المفتش «عماد» الى «هند» وقال: اسألوها. ضحكت «هند» وقالت: الحقيقة أنني بعد أن ابتعدتم عني أخذت أفكر في جهاز اللاسلكي، وقال لي «جاسر»: ان الجهاز يعمل ولكن عليه تشويش وأنا اعرف ان التشويش يكون في مناطق محددة، فكرت أن نبتعد بالسيارة قليلا عسى ان نبتعد عن منطقة التشويش وهذا ما حدث فقام «جاسر» بقيادة السيارة، وسامحوه من أجل ذلك فهي مخالفة قانونية لأنه

لا يملك رخصة قيادة.. وابتعدنا قليلا وهنا أحسست أن الجهاز قد ضاع منه صوت التشويش.. وبدأ جاسر يتعامل معه فسمعنا صوتا يخاطبنا.. فطلبت المفتش عماد واخبرته بكل ما حدث فطلب منا البقاء مكاننا حتى يحضر بالطائرة فورا، وهذا ما حدث.

المفتش عماد: ان تفكير هند ممتاز كما هي العادة، وعلى فكرة لقد استطعنا القبض على أفراد العصابة وكنا نبحث عنهم، انهم رؤساء أربع عصابات.. ولكننا لم نعرف طريقهم حتى قبضتم أنتم عليهم!

سألت هند: هل استطاعوا تهريب الآثار الى الخارج ؟

عماد: لا. والفضل لكم.. لقد كانت في الكهوف تنتظر ان يخرجوا بها.. ولكنكم كنتم أسبق فحافظتم على ثروة البلاد.

عامر: الآن نستطيع أن نعيش مرة أخرى في سلام!

المفتش «عماد» ما هي خطتكم.. هل تتابعون الرحلة؟!

هند: للأسف لا.. يجب أن نعود حتى يسترد ياسر صحته.

جاسر: ربما نعود مرة اخرى.. يوما ما..

ونبح «عجيبة»

وضحك المفتش عماد وقال: أنت بطل عظيم.. كنت أول من أمسك بالخيط.. سأصنع لك ميدالية ذهبية !.. والآن اعتقد أنكم ستعودون معي في الطائرة وسنرسل من يأخذ السيارة ليعود بها، ان « علي » والاسطى « سماحة » في حالة من التعب والارهاق لا تسمح لهما بذلك.. والتف الجميع حول المفتش عماد يشكرونه.

وانتبهوا على ضجيج خارج الخيمة.. كان أهالي القبائل يلتقون حول الخيمة محملين بالهدايا.. يضحكون ويغنون..

خرجوا اليهم ليشكروهم.. ويعتذروا عن كل هذه الهدايا..

وقالت «هند» وفي عيونها دموع الفرحة: سنعود مرة اخرى.
سنعود.. سنعود..

وطارت بهم الطائرة!

وبقيت الصحراء.. مليئة بالكنوز.. والغموض.. والأسرار!!

المغامرة القادمة:

سر الأم الحزينة

مغامرة إنسانية من نوع جديد..

حيث يصطدم المغامرون الثلاثة بسلاح لا يقاوم..

سلاح الدموع.. دموع أم حزينة..

فلا يجدون أمامهم سوى التسليم، والاستسلام..

ولكن.. تبدأ المفاجآت..

مثيرة.. وغامضة.. وغريبة!

هذه المغامرة

تأليف: رجاء عبد الله

سر جبل الرعب

انطلق المغامرون الثلاثة جاسر وياسر وهند إلى قلب الصحراء.. يستكشفون المجهول!

إجازة عادية.. ولكن الصحارى.. والغموض والأسرار.. وطلقات الرصاص كانت في انتظارهم..

اهتزت الأرض.. وغضب عليهم جبل الرعب..

وواجهوا مصيرهم الغامض..

هل يعودون من رحلة الصحراء المميتة؟!

هذا ما ستعرفه في هذه المغامرة..



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

BLUE BIRD



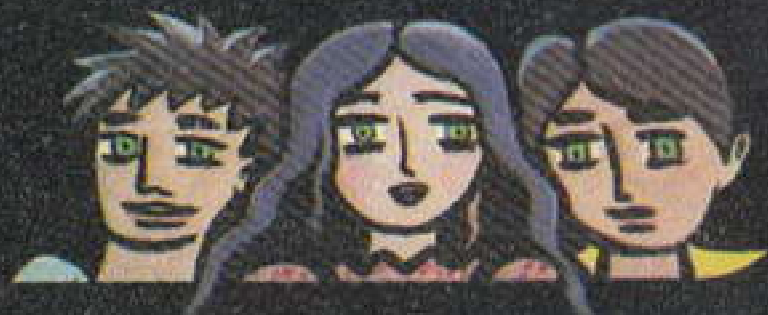
M.Raafat

عرب كوميكس

Arab Comics

٤٥

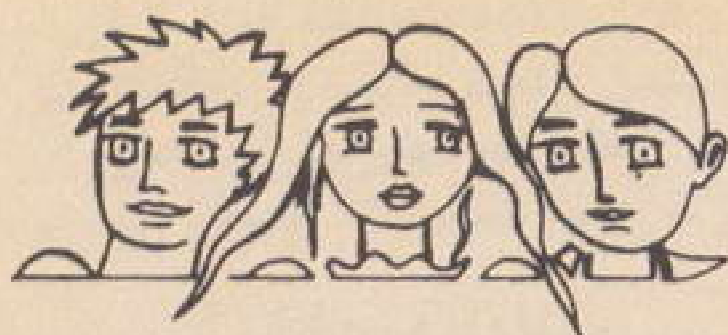
مُغامرات الجيل البوليسيّة



المغامرون الثلاثة في ....

سر جبل الرعب

مُغامرات الجيل البوليسيّة



المغامرون الثلاثة في.......

سر جبل الرعب

٤٥

تأليف : رجاء عبد الله

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٢



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقيا: دارجيلاب - تلكس: ٤٢٦٤١ دار جيل

مَن هـُم المغامرُون الثلاثة؟

إنهم « جاسر » و« ياسر » وشقيقتهما « هند »
وذلك حسب ترتيب الأعمار، والسنة الدراسية في المرحلة الثانوية.

الأب: هو المهندس « مختار الديب »، ويطلق على نفسه لقب المهندس الطائر، فهو يطير من بلد عربي إلى آخر.. يعمل في شركة عربية للمقاولات ويساهم في بناء العالم العربي الكبير..

الأم : هي السيدة « نبيهة »، لبنانية الأصل. تنتقل مع زوجها في كل مكان، بعد أن وصل الأبناء الثلاثة.. الى أعتاب الشباب وسن المسئولية..

ويقى من الأسرة.. واحد من أهم افرادها.. هو العم أو المقدم « عماد الديب »، الضابط بالشرطة الدولية « الانتربول ».. وهو الرجل الصامت.. الهادئ تماماً.. وكأنما هو أبو الهول كما يطلق عليه زملاؤه.. وهو الذي يقيم مع المغامرين الثلاثة في منزلهم الأنيق البسيط، والذي تحيط به حديقة واسعة، في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة..

وتلتقي الأسرة كلها عادة في صيف كل عام.. في مصر، أو في أي بلد عربي يعمل فيه الوالدان..

ومن هذا الخليط العربي الصميم.. الأب المصري والأم اللبنانية جاء هذا السحر الذي يتمتع به المغامرون الثلاثة.. العيون اللبنانية الخضراء، والبشرة المصرية السمراء، أضفت على المغامرين جمالاً وجاذبية، توجت ما يمتازون به من ذكاء فوق العادة، مع قوة ملاحظة وسرعة تصرف، كانت وراء النجاح تلو النجاح في كل مغامرة يتعرضون لها..

وهذه واحدة من هذه المغامرات.. الغريبة الغامضة..


جَاسِر
يَاسِر

هند ... وعَجيبة




الأم السَيدة نبيهَـة
العم المقدَم عـمـاد
الأب
المهَندس
مُختـار

بسم الله الرحمن الرحيم

هدية غير عادية

ارتفع رنين جرس الباب الخارجي للفيللا الصغيرة التي يقيم فيها المغامرون الثلاثة جاسر وياسر وهند.. مع عمهم المقدم عماد.. ضابط الشرطة الدولية الخطير، ونظر الثلاثة الى بعضهم.. وقال ياسر: إنه ساعي البريد!

قفزت هند، وأسرعت تقطع الممر الصغير وسط حديقة المنزل وهي تقول: ــ نعم! انها الساعة الثامنة.. وهذا موعده!

وكانت تدرك وهي تسرع إليه، انه لا بد يحمل رسالة هامة، لأنه يريد تسليمها لهم بيده.. ولم يتركها في صندوق البريد كالعادة، وكان ظنها صحيحا..

فقد وقف الرجل مبتسما، فهو يعرفهم جيدا وقال: صباح الخير، لدي لكم رسالة شخصية، يجب التوقيع لاستلامها!

وهتفت هند ترد تحيته بترحاب، ثم وقعت له على الأوراق، واستلمت الرسالة وعرفت في الحال صاحبها، فقد كان خط

والدها العزيز واضحا عليها!

والتف المغامرون حول الرسالة يقرأون ما فيها، وكانت تحمل الكثير من الحب والأشواق.. وتحمل أيضا إيصالا يستلمون به هدية موجودة حاليا في قرية البضائع بمطار القاهرة.. وبمجرد انتهائهم من قراءة الخطاب، جلسوا في أماكنهم صامتين، وقد لاح على وجوههم شيء من الحزن الرقيق..

وارتفعت خطوات رشيقة تهبط السلم من خلفهم، كانوا يعرفونها جيدا، إنه عمهم العزيز الذي ألقى عليهم تحية الصباح وهو يجلس بينهم إلى مائدة الافطار وردوا تحيته بصوت هادئ على غير العادة..

نظر إلى وجوههم بدهشة.. وسألهم ماذا حدث؟. فمد جاسر له يده بالرسالة..

امسكها وقرأها، وزادت دهشته.. وقال: هل يحزنكم وصول هدية، لا بد وأنها كبيرة ما دامت في قرية البضائع!

قالت هند وقد اختنق صوتها بالبكاء: طبعا ! ألا تعرف معنى وصول هدية لنا في هذا الوقت من السنة.. في بداية الاجازة ؟!

وفهم المفتش الذكي على الفور وقال: ماذا تقصدين؟!

رد ياسر بحدة: معنى هذا أن أبي وأمي لن يحضرا هذه الأيام..

سوف يتأخر قدومهما.. لأنهما لو كانا قادمين لأحضرا الهدية معهما !

أطلق عماد ضحكة عالية وقال: رائع.. لأول مرة أرى المغامرين الكبار، وقد تحولوا إلى أطفال.. يكون في حاجة إلى ماما، وبابا!

قال جاسر مبتسما: ليس الأمر كذلك يا عمي، ولكننا في الحقيقة نشعر بالشوق إليهما!

واكملت هند: هذا صحيح.. انني اشعر بالشوق الشديد لهما!

قال عماد في رقة: إنني طبعا اقدر شعوركم.. ولكن هناك شيء اسمه الواجب كما تعرفون، لا بد وأن العمل يشغلهما عن الحضور في موعدهما.. ولا بد أيضا أنه عمل هام وسيحضران قريبا.. ومع ذلك، فلأننا جميعا نشعر بالحنين لهما. سوف أقوم بطلب اتصال تليفوني طويل معهما هذا المساء، لنتمتع بالحديث إليهما.. وعلى حسابي ايضا.

وابتسم الثلاثة وشكروه في سعادة.. وأقبلوا يلتهمون طعامهم بشهية،

فقال عماد: وسوف أقدم لكم خدمة أخرى.. سأتصل بأحد اصدقائي من ضباط المطار وسأكلفه بمقابلتكم وتسهيل مهمتكم.. بل وسأدفع عنكم الرسوم الجمركية ايضا.. هيه.. ما رأيكم!

ولم يكن في حاجة إلى إجابة.. فقد التفوا حوله يشكرونه بحرارة.. وبعد قليل.. كان يمضي بخطواته السريعة الرشيقة إلى سيارته.. وكانوا هم ايضا يتوجهون بنشاط إلى حيث تنتظرهم الهدية.. إلى المطار.

وصلوا المطار، وكل منهم يفكر في طبيعة الهدية ويتمنى أن تكون شيئا جديدا، فلديهم الكثير من الهدايا التي يرسلها لهم أبواهم من كل أنحاء العالم وقطع الصمت ياسر وهو يقول: لا تستغرقوا في التفكير. لم يبق سوى دقائق وتعرف الحقيقة!

ضحكوا وهم يتقدمون إلى مكتب النقيب زياد الذي كان في انتظارهم، وقد أنهى كل الاجراءات، ولم يبق سوى توقيعهم بالاستلام!

ولما توجهوا ليحملوا الهدية.. غمرتهم الدهشة، فقد كانت طردا كبيرا وثقيلا، ولكنه موضوع داخل قماش سميك.. ومربوط جيدا.. وخجلوا من سؤال النقيب زياد عن طبيعة هذه الهدية الثقيلة.. واكتفوا بشكره.. ووضعوها بعد مشقة على عربة المطار المخصصة لنقل الحقائب، ثم تحولوا يدفعون العربة الصغيرة إلى الداخل.. وكان لا بد لهم من استئجار سيارة أجرة في العودة ووضعوا حملهم الغامض على شبكة السيارة الخارجية.. وأسرعوا بالعودة..

وعلى باب المنزل.. وقفوا ينظرون إلى هديتهم.. وضحكت

هند وهي تتبادل النظرات مع جاسر.. كان واضحا أن ياسر، بقوته الرياضية المعروفة، هو المسؤول الآن عن الهدية وقد كان.. حملها بمساعدتهم إلى الداخل.. ووضعها على الأرض، وأخذ ينظر اليها بأنفاس متلاحقة من اثر المجهود..

وأسرعت هند، تفك الغلاف الخارجي.. بكل لهفة، واصطدمت يداها بكتيب صغير، نظرت إليه، وصاحت في سعادة.. تصوروا ! خيمة.. إنها خيمة!

واندفع ياسر، واختطف الكتيب، نظر إليه.. هتف: إنها أمنية عمري..
خيمة على أحدث طراز ظهر في العالم حتى الآن، إنها مكونة من حجرتين، لها نوافذ وابواب وأرضية ايضا، سهلة التركيب، والاستعمال، وكأنها منزل صغير!

والتقطت هند رسالة من داخل الهدية وقالت: أنظرا! إن بها رسالة صغيرة!

وقرأت بصوت عالٍ المكتوب بها: « حتى لا تنسوا مشروعكم القديم!.

قال جاسر: يا لهما من أبوين عزيزين.. أعظم أم.. وأعظم أب..
لقد تذكرنا أننا كنا نحلم بالقيام برحلة حول بلادنا العزيزة..
مشروع اعرف بلادك!

قال ياسر: وهو ينظر الى الخيمة: اعتقد أننا سنبدأ في تحقيق حلمنا!

وبنفس النشاط الذي دب فيهم أسرعوا يحملون الخيمة الى الفناء الخلفي للمنزل، ولم يمض سوى أقل من الساعة، حتى كانت أمامهم خيمة رائعة من قماش مضاد للأمطار والرياح. لها نوافذ تغلق وتفتح، وحجرتان واسعتان.. بل وبها أيضا أربعة أسرة.. أو أكياس للنوم.. كل كيس يسع واحدا منهم ينفخ بمفتاح صغير ليتحول الى مرتبة مريحة..





رائعة.. خيمة رائعة.. هدية مثيرة!!

قال ياسر معجبا: سوف أنام فيها الليلة!

جاسر: هل جننت.. إن وراءنا الليلة عملاً هاماً !

نظر اليه ياسر في دهشة.. فقال جاسر: طبعا.. يجب ان نناقش

خطتنا.. هل تتصور ان نستعمل الخيمة هنا، يجب أن نعد رحلة بعيدة، حتى تستعمل في مكانها الصحيح!

عندئذ انطلقت نبحة هائلة، ونظروا حولهم بذهول، واذا بهم يرون «عجيبة» كلبهم الذكي وهو يطلق نباحه، وقد اخرج رأسه من نافذة الخيمة..

وانطلقوا ضاحكين، وقال جاسر: يبدو ان «عجيبة» يشارك ياسر في رأيه وسوف يقضي الليلة في الخيمة ايضا!

قالت هند: ولم لا.. ستكون تجربة ظريفة، خاصة وان خطة الرحلة معدة تماما ولا ينقصها الا التنفيذ!

وانتبهوا على صيحة دادة عواطف الغاضبة، وهي تطلب منهم العودة الي المنزل لتناول طعام الغداء الذي مر موعده منذ فترة طويلة.

وأسرعوا إلى الداخل.. وكان هناك أيضا عمهم عماد.. نظر إليهم متسائلا، وهم يجلسون في اماكنهم حول الطعام.. وشرح له جاسر قصة الهدية، وقال: لم ينسَ أبي وأمي أننا كنا نتحدث عن الرحلات.. وكنا نتمنى ان نستكشف بلادنا، إلا اننا كنا نخشى ألا نجد الامكانيات المطلوبة للاقامة في الاماكن البعيدة!

قالت هند: وكنا فعلا قد حددنا مكان رحلتنا الاولى!

سأل عماد: اين؟

هند: إلى الصحراء الغربية، نريد الوصول الى واحة سيوة!

عماد: إنها فكرة مدهشة.. ولكن الوصول إليها ليس سهلا.. ويحتاج إلى اشياء كثيرة، وليست الخيمة فقط!

جاسر: هذا صحيح.. سوف نفكر في احتياجاتنا أولا.. قبل ان نقرر البدء في الرحلة!

قال عماد وهو يستعد للوقوف: هذا عظيم.. ما رأيكم في التفكير والتخطيط حتى عودتي في المساء، فقد يمكنني تقديم المساعدة لكم!؟

وشكره المغامرون الثلاثة.. فقد كان كلامه هذا يحمل موافقته لهم على الرحلة.. الرحلة إلى هذا المكان. في وسط الصحراء الغربية الواسعة.. واحة سيوة!

° ° °

روح الفريق

حول مكتب هند الأنيق الصغير، التف المغامرون الثلاثة.. وأخرجت هند من درج مكتبها أوراقا منظمة وقالت: هي هي كل الخطط المتعلقة بالرحلة.. الخرائط ومتطلباتنا من اغذية وأدوية وغيرها وكانت أمامنا عقبتان.. جعلتانا نمتنع عن القيام بها.. الأولى.. محل الاقامة.. والثانية: وسيلة المواصلات..

جاسر: لقد انتهت الآن المشكلة الأولى.. فقد وجدنا مكان الاقامة.. وبقيت العقبة الثانية!

هند: يجب ان نتغلب عليها هي الأخرى!

قال ياسر: أعتقد ان عندي الحل!

نظرا إليه في لهفة، قال: لقد افتتحت هذه الأيام مكاتب عديدة لتأجير السيارات للسواح، واعرف نوعا من سيارات الجيب المغطاة والمغلقة.. ويمكننا ان نستأجر واحدة لمدة ثلاثة اسابيع.. هي مدة الرحلة!

سألت هند: ولكن هل يوافق المكتب على تأجيرها لنا؟!

ياسر: هذه هي الخدمة التي سنطلبها من عمي عماد.. إذا ذهب معنا الى المكتب سوف يوافق على الفور لأنه سيكون خير ضامن لنا!

جاسر: ولكن بقيت عقبة يا عزيزي. إنها..

قاطعه ياسر: طبعا أعرفها، قيادة السيارة. اليس كذلك.. انني ايضا اعرف الحل.. نظر الى وجهيهما وقد بدت عليهما علائم الدهشة.. وضحك قائلا: ياسر يعرف دائما أكثر! أليس كذلك!

واطلق ضحكة عالية ثم قال: سوف يكون علي هو السائق؟

وقالت هند في استنكار: علي.. من هو علي هذا؟

قال غاضبا: هل نسيت علي.. إنه صديقنا السائق الاسمر، الذي اشترك معنا في مغامرة الزمن المفقود وايضا مغامرة الاشارة الحمراء!

واشرق وجهها فجأة وهتف جاسر: طبعا.. طبعا.. كيف نسيناه؟ ولكن أين نجده؟

جلس ياسر في عظمة وقال: أنا أعرف مكانه.. وأستطيع إحضاره فورا!

نظرت إليه هند في شك.. قال ضاحكا: الحقيقة أنني رأيته أكثر من مرة في هذه الأيام الاخيرة، إنه يعمل سائقا على سيارة أجرة، تابعة لأحد الجراجات القريبة منا.. في شارع الدقي.. وكثيرا ما مررت عليه للتحية وبعض الدردشة !

اتجهت هند إلى شقيقها جاسر وقالت: ما رأيك.. الا تشعر بشيء غريب يجري حولنا؟

اجاب جاسر ضاحكا: إنني لا أكاد أصدق نفسي!

وقاطعهما ياسر في مرح: أعرف.. أعرف ماذا تقصدان.. إنني افكر في كل شيء واجد الحلول لكل المشاكل.. أليس كذلك.. طبعا.. إنني أفكر إذا أنا موجود !

ووقف يستعرض عضلاته ويقول: لم اعد صاحب عضلات فقط، ولكن عقل ايضا.. ومع ذلك لا تخافا. فما زالت عضلاتي تعمل بكل قوتها.. سأكون حارسكما الأمين!

واطلق «عجيبة» نباحا عاليا.. فقال ياسر: وأنت أيضا.. طبعا.. ستكون الحارس الأول يا عزيزي!

قال جاسر: شيء رائع.. اذا استطعنا العثور على «علي» واصطحبنا «عجيبة» معنا.. سنكون فريقا رائعا.. من يدري، فقد نكتشف في الصحراء اكتشافات لم يسبقنا إليها أحد!

هب ياسر واقفاً وقال: ولماذا إضاعة الوقت، سوف أذهب للبحث عن علي فورا!

وصاحت هند، ومعها جاسر: يحيا النشاط! تحيا الهمة!

وضحك ياسر... وانحنى برد التحية.. وانطلق المغامر الشاب النشيط إلى مهمته..

ومضت حوالى أربع ساعات قبل أن يعود ياسر، قضتها هند وجاسر وهما يضعان قائمة بكل احتياجات الرحلة، حتى لا يتركا شيئا للظروف.. واخذا يسترجعان كل رحلاتهما السابقة، ويتذكران ما كان ينقصهم فيها، فيعدونه لهذه الرحلة، حتى تأكدا من كل الاستعدادات.. في اللحظة التي وصل فيها ياسر!

قال وهو يلقي بنفسه على مقعد، كمن يستريح من عمل مجهد: لقد بحثت عنه في كل مكان يمكن أن يوجد فيه.. في البيت، وفي الجراج وفي الموقف الذي اعتاد الوقوف فيه.. ولكنني لم أجده...وقد تركت له رسالة في كل مكان حتى يتصل بنا عند عودته!

هند: إنه عضو مهم في الرحلة، لن يمكننا القيام بها بدونه! وانطلق نباح عجيبة في هذه اللحظة، ولكنه كان نباحا مرحبا.. وتساءلت هند: ترى من القادم الآن ؟ نحن نقترب من المساء ! وأطل الوجه الأسمر من الباب وهو يقول: تحت

الطلب.. هل من خدمة ؟!



وانطلقوا يرحبون به! إنه علي، وصل في الوقت الذي كان اليأس قد بدأ يتسلل الى قلوبهم!

قال وهو يجلس ببساطة فوجه حديثه إلى ياسر: كنت أصل إلى كل مكان ذهبت أنت إليه بعد مغادرتك له بلحظات.. ولذلك شعرت بأن الأمر هام، فأسرعت الحق بك الى هنا!

وعلى الفور بدأ ياسر يشرح له فكرة الرحلة، ورغبتهم في انضمامه إليهم ليقود السيارة.. والتي لا يمكن لأحد منهم قيادتُها حيث لم يصل سنهم إلى السن القانونية المسموح بالقيادة عندها.. مع أنهم جميعا يتقنون القيادة.. وعلى الفور رحب علي بالفكرة..

وقال بحماس: لقد تمنيت دائما ان اصحبكم في مغامراتكم!

ياسر: ولكنها في الحقيقة إجازة، وليست مغامرة!

قال: لا يهم.. المهم أن أكون معكم..

وصمت قليلا.. وظهرت على وجهه الحيرة.. وسأله جاسر عن السبب، فقال وقد استعاد ابتسامته: لا شيء.. الحقيقة انني كنت مشغولا بالعثور على أحد السائقين من زملائنا.. لقد اختفى منذ أسبوع، ذهب إلى المطار مع بعض الأجانب. ولم يعد حتى الآن!

ياسر: وماذا ستفعل؟

علي: أنا.. لا شيء طبعا.. لقد قام المكتب الذي نعمل به بابلاغ الشرطة بحادث اختفاء السائق، ويحتمل أنه سافر مع بعض السياح ليقود لهم السيارة في رحلة ما.. والآن.. متى سنبدأ!

ــ بعد أسبوع على الأقل!

جاء الصوت حاسما من ورائهم.. نظروا! كالعادة كان صوت المفتش عماد الذي قال: بعد أسبوع. حتى يتقن ياسر بعض مبادئ ميكانيك السيارات.. تحسبا لأية ظروف !



رد ياسر: ولكني فعلا أعرف الكثير عن تصليح السيارات!
وقال علي: وأنا أتقن ذلك تماما!
قال عماد بصوت باتر: ومع ذلك.. فإني أريد مزيدا من التمرين!
ولم يكن أمامهم إلا الموافقة..

بداية الرحلة

مضى الأسبوع سريعا.. أتقن ياسر ميكانيك السيارات.. وقام المقدم عماد باستئجار السيارة. واستعد على لقيادتها.. وفي اليوم الأخير قدم لهم عمهم مفاجأة جديدة، فقد زود العربة بجهاز لاسلكي.. من النوع الحديث، حيث يمكنه الاتصال بهم في أي مكان، كما يمكنهم ايضا الاتصال به.

في الصباح الباكر.. بعد الفجر مباشرة.. بدأت الرحلة، كان هذا هو الموعد الذي اتفقوا على بدء رحلتهم فيه. ففي هذا الوقت يكون الجو رقيقا والهواء ما زال باردا ولم تشتد الحرارة أو تسطع الشمس بعد، وحتى يمكنهم الاستراحة في وقت الظهر الشديد القيظ. وقبل أن يقفزوا الى السيارة كان «عجيبة» قد احتل مكانه بجوار النافذة واخرج رأسه منها فقد كان يفهم تماما أنهم في سبيلهم إلى رحلة طويلة.

واختاروا في البداية أن تكون رحلة عادية من طريق الاسكندرية

ــ مرسي مطروح ومن مرسي مطروح كان عليهم الاتجاه جنوبا وسط الصحراء الشاسعة والطرق الفرعية الى واحة « سيوة ».

وهكذا وصلوا الى الاسكندرية مع بداية الصباح ولكن «علي» لم يتوقف هناك بل انطلق على طريق الكورنيش الممتد غربا حتى مرسي مطروح.

وقال ياسر معلقا: لو توقفنا في الاسكندرية فلن نقاوم اغراءها، وسيضيع منا يوم على الاقل.

هند: هذا صحيح ولذلك وضعنا في خطة الرحلة عدم التوقف في الاسكندرية.

جاسر: أمامنا الآن مجموعة من البلاد الصغيرة أو القرى التي يسكنها الأعراب وأول بلدة ستقابلنا هي «برج العرب» وبعدها «العلمين»..

هند: ما رأيك يا « علي » ؟.. هل يمكنك أن تهدئ سرعتك قليلا حتى التقط بعض المناظر الطبيعية هنا؟

ياسر: طبعا. انظري هذه الفاتنة الصغيرة.. إنها تستحق صورة!

وكانت السيارة تقترب من فتاة صغيرة تسوق أمامها مجموعة من

الأغنام وتوقف «علي» تقريبا أمامها!

ونظرت اليها «هند» بإعجاب وقالت: إنها لم تتجاوز العاشرة.

جاسر: ولكنها مسؤولة عن رعي هذه الأغنام كلها.

قالت «هند» وهي توجه إليها الكاميرا: أنظر إلى ثوبها.. إنه مطرز تطريزا يدويا رائعا وكذلك هذه الطرحة التي تضعها على رأسها.. لو عرض هذا الثوب عندنا في محل لباعه بعشرات الجنيهات.

جاسر: إن هذا الفن اليدوي تعلمه الأمهات للبنات جيلا بعد جيل.

وفجأة اندفع (علي) بالسيارة وقال: لو أننا توقفنا أمام كل طفل وطفلة يقابلنا فلن نصل إلى « سيوة » أبدا..

ضحك جاسر وقال: ولا يهمك.. إننا نتجاوز الآن «برج العرب» في طريقنا إلى «العلمين»!

هند: وأظن اننا يجب أن نتوقف عندها. فالعلمين معروفة طبعا بأنها ساحة أكبر معركة من معارك الصحراء. ويقولون إنها غيرت مجرى الحرب العالمية الثانية عندما هزم فيها الألمان امام الحلفاء.

ياسر: أنت ملكة التاريخ أيضا يا عزيزتي، صحيح أن فيها متحفا حربيا رائعا، ومقابر ضحايا الحرب وأن السياح يأتون إليها من

جميع أنحاء العالم، ولكننا يجب ان نتوقف فيها لسبب آخر تماما..

وصرخ «جاسر وهند» في وقت واحد، وقد تصوروا أن العربة قد حدث بها عطل أو تحتاج إلى تصليح لماذا؟ لماذا؟

نظر إليهما «ياسر» نظرة تعجب شديدة وقال: لماذا؟ لأني أكاد أموت من الجوع.. أريد ان آكل.. آكل.. ولا بد أن نتناول معا وجبة شهية تساعدنا على مواصلة الرحلة..

وصاحت هند: من فضلك يا «علي» لا تتوقف!

انطلق «جاسر» يضحك ويضحك.. ونظر إليه «ياسر» بغيظ متسائلا. ولكنه تجاهله وهمس في أذن « هند » إنه يتصور أن « العلمين » قريبة جدا، طول عمره يكره الجغرافيا.. إن بيننا وبينها عشرات الكيلومترات.

وضحكت «هند» ومدت يدها بساندويتش إلى «ياسر» وقالت: تفضل حتى نصل. وامسك «جاسر» بالخريطة بين يديه وقال: سنستريح قليلا في «العلمين». ثم نواصل السير حتى «الضيعة» ثم « رأس الحكمة » ومنها مباشرة إلى مرسي مطروح حيث ننام ليلتنا. هكذا تقول الخطة.. أليس كذلك يا « ملكة العبقرية » ؟!

هند: فعلا.. ولكننا أيضا لن ندخل مدينة « مرسي مطروح » الساحرة بل سنقيم خيمتنا خارج المدينة عند مشارف الطريق

الموصل إلى « سيوة » !

وصمتوا قليلا، كانت الحرارة قد بدأت تشتد ولكنهم انشغلوا بمناظر الساحل والأعراب والبلاد الصغيرة، ومرت ساعات حتى وصلوا إلى «العلمين»..

وصاح «ياسر» بمجرد وصولهم: الطعام. الطعام. لا أريد ساندويتشات.. أريد طعاما..

قالت هند: بهذه الطريقة سنقضي على كل مؤونتنا وسنموت جوعا في الصحراء. واطلق «عجيبة» نبحة قوية.. وقال ياسر: حتى «عجيبة» ينبح احتجاجا على كلامك أنت وزيرة تموين قاسية.

أشارت «هند» الى «عجيبة» وقالت «لياسر»: خذه واذهب الى المطعم الصغير وتناولا ما تريدان من الأكل.

وانطلق «الاثنان» وأخذت «هند» تتجول في المنطقة التي حولها. رأت مكانا فسيحا مليئا بالمقابر، وبين الحين والآخر تقف سائحة تضع باقة من الزهور، ورأت مبنى جميلا مكتوبا عليه « متحف العلمين الحربي »، وأخذت « هند » تفكر ثم هزت رأسها وعادت إلى «جاسر» قائلة: ان منطقة الساحل الشمالي كلها تحتاج إلى زيارة خاصة.

جاسر: معك حق!

وجلسوا في ظل شجرة، حتى عاد «ياسر» متخما بالأكل «وعجيبة» يهز ذيله سعيدا، وعندما بدأت الشمس تتحول إلى جهة الغرب اتجهوا إلى سيارتهم، ومرة أخرى عادوا إلى الطريق، وقبل ان يحل المساء كانوا يقيمون خيمتهم الفاخرة على بعد أمتار من الطريق الموصل إلى مرسي مطروح وعلى بابها قبع « عجيبة » وفي الداخل قال جاسر: هيا الى النوم لقد قطعنا طريقا طويلا، ولكنه الطريق السهل، أما الصعب فسيبدأ غدا!..

مع اشراقة الصباح الأولى كان «علي» يقود السيارة بهدوء متجها بها إلى قلب الصحراء. الطريق ضيق لم يمهد بعد.. واحد من سلسلة الطرق التي مهدها الناس بمرور السنين.. المشهورة بإسم «المدقات» فهو طريق رملي. اصبح محددا ومعروفا مع طول استعماله من الناس وعرفه ركاب السيارات فساروا عليه واصبح معروفا بإسم «المدق».

قال « علي »: يجب أن نقطع اكبر قدر ممكن من الطريق قبل ان تشتد حرارة الشمس، فهي حارقة وملتهبة..

هند: معك حق، ولكن ليس معنى ذلك أن تسير بسرعة كبيرة فالطريق كما ترى لا يمكن الاسراع فيه..

ضحك «علي» وقال: اطمئني، أنت تركبين مع أمهر سائق في العالم..

وفي ذلك الوقت كان «جاسر» يمسك بخريطة كبيرة ينظر إليها ويحدد أماكن سيرهم عليها، وقال: أمامنا حوالى ٨٠ كيلو إلى مائة لنصل الى «عين خالدة» ثم نعرج إلى طريق آخر.. طريق فرعي أيضا..

هند: هذه منطقة كبيرة بها الكثير من السكان أو الاعراب بعضهم من العرب الرحل وبعضهم يقيمون في نجوع نائية «والنجع» قرية صغيرة حول عين أو عدد من عيون الماء كما سنرى عندما نصل إلى «عين خالدة».

جاسر: ستكون فرصة للتعرف عليهم، ودراسة عاداتهم وتقاليدهم، انهم مجتمعات خاصة لها قوانينها وعاداتها ولكن هذه النجوع ليست على الطريق مباشرة.. وسنضطر الى السير في الصحراء مدة طويلة اذا كنتم ترغبون في زيارة هذه النجوع.

هند: طبعا. وإلا.. فلماذا نقوم بالرحلة!!

ياسر: ما دمت لا تشعرين بمتاعب القيادة في الصحراء فلن يهمك ان نذهب الى آخر الدنيا..

ضحكت «هند» وقالت: ولم لا.. إليس معنا أمهر سائق في الدنيا؟!

ابتسم «علي» وهو يشعر بالفخر..

سارت السيارة بين ضحكات الأشقاء. ووزعت عليهم «هند» الافطار الذي كانت قد اعدته من قبل، اكلوا وضحكوا، وتمتعوا طويلا بمنظر الصحراء الصامت.. كان اللون الأصفر حولهم لا يتغير، ولكن التلال والرمال والزوابع الصغيرة التي يدور بعضها حول بعض هي التي تعطي الصحراء منظرا مميزا مهيبا..

ومضى الوقت. وبدأت الشمس تشتد حرارتها شيئا فشيئا.

وقال «ياسر»: الحمد لله. اقتربنا من نهاية هذا الطريق واعتقد اننا سوف نتوقف عند مفترق الطرق حتى تخف حرارة الشمس. ثم نتجه الى طريق منخفض القطارة.

جاسر: تماما.. لقد أصبحت فعلا من الرحالة يا ياسر.

وفجأة صاحت «هند»: أنظروا أنظروا.. يبدو أننا قد اقتربنا فعلا من «بئر خالدة»..

وفجأة نبح «عجيبة» وكاد يقفز من نافذة السيارة لولا أن أمسك به «جاسر». ونظروا إلى الخارج فاذا على البعد غزال جميل يجري بسرعة هائلة.

وتنهد ياسر وقال: ها هوذا الجمال الحقيقي.. الغزال الشارد الرشيق..

قال جاسر: يقولون إنه أشهى لحم يأكله الاعراب..

هند: هل تحاول صيد غزالة..؟

جاسر: «ياسر» هو المختص بالصيد!

ياسر: أنا! هذا مستحيل، من يستطيع أن يقتل هذا الجمال الحي.. إن الذي يصطاد الغزال لا قلب له ولا احساس.

وضحكوا جميعا. وقالت « هند »: لقد بدأ ياسر يتحول إلى شاعر رومانسي عظيم ! واقتربت السيارة، وهي تسير ببطء لصعوبة الطريق، من مجموعة من اشجار النخيل المتناثرة..

وقال «علي»: سوف نتوقف هنا لقد اشتدت حرارة الشمس ويجب ان يبرد «موتور» السيارة. ونستريح حتى تنكسر شدة الحرارة.

هند: وطبعا لكي نأكل.. أليس كذلك يا ياسر؟

ونبح «عجيبة» نبحة عالية، وضحك الجميع.

واقترب «علي» من مجموعة صغيرة من الأشجار فروعها قليلة وأوراقها تميل إلى الاصفرار وانحرف بالسيارة ليوقفها وسط هذه الاشجار.

وقفزوا من السيارة يسبقهم «عجيبة» وسرعان ما أخرجوا شمسية كبيرة تقف على اعمدة رفيعة من المعدن غرسوها ببراعة في الرمال، فألقت ظلا واسعا، وأحضرت «هند» الثلاجة الصغيرة والطعام،

وتمددوا تحت المظلة يأكلون ويشربون و«عجيبة» يقفز حولهم سعيداً.



فجأة انطلق «عجيبة» إلى قلب الصحراء وهو يطلق نباحا عاليا، وصرخ فيه « ياسر »: تعال هنا لو غبت عن عيوننا ستبتلعك رمال الصحراء ولن نراك مرة اخرى..

وعاد الكلب الأمين وهو يواصل النباح ويدور في حلقات واسعة!

قال ياسر: يبدو أنه رأى غزالا شاردا آخر..

وأشارت هند بعيدا.. وقالت : انظروا هناك !

صمتوا تماما ونظروا بعيدا.. كانت هناك كتلة غير ظاهرة الملامح، وشيئا فشيئا بدأ يظهر جمل كبير يحمل راكبا فوق ظهره

وحماران يحملان أمتعة، وعدد من الأولاد يجرون حول الحمارين وبعض الاغنام..

جاسر: إنهم أسرة من الاعراب.. أنظروا كيف يلفون وجوههم فلا تظهر غير عيونهم.. ! انهم يتحاشون الرمال.

ياسر: هل تعتقد انهم بعض العرب الرحل!

جاسر: وماذا يكونون غير ذلك!

هند: هل يقتربون منا؟ أرجو ذلك!

جاسر: لا.. أنظري.. لقد اتجهوا جنوباً يبدو انهم وجدوا « بئر خالدة » جافة فاتجهوا إلى عين قطارة!

هند: ربما.

اتكأ «ياسر» على يديه ومد قدميه على الأرض وقال: ما الذي جرى لـ « عجيبة » ؟ انظروا كيف يدور حول نفسه كالمجنون.

هند: لعله مبهور بالصحراء، فهي المرة الأولى التي يخرج فيها إلى رحلة صحراوية!

وعندما بدأت الشمس تتجه إلى الغروب كانت السيارة تخوض طريقها وسط رمال الصحراء في طريقها الى «بئر خالدة» وكان

«جاسر» يستعين بالبوصلة في توجيه «علي» الذي كان يحاول بكل جهده ان يتفادى الاصطدام بالتلال الكثيرة التي تحيط بهم، أما «عجيبة» فهو لم يكف عن النباح والدوران حول نفسه في مكانه الضيق بالسيارة. وفكرت «هند» هل يشعر «عجيبة» بخطر قريب ويحاول ان يحذرهم منه.. وقبل ان تستغرق في أفكارها نبح الكلب نبحة عالية. واهتزت السيارة هزة عنيفة يمينا ويسارا ثم توقفت. واذا بطوفان من الرمال يثور حولهم ويغرق العربة من كل اتجاه. وكأنها أمواج بحر هائج تضرب سفينة صغيرة.

ولم تنقطع أمواج الرمال من الاصطدام بعربتهم، والريح الصارخة التي تعوي وتزيح الرمال من حولهم في طريقها كالإعصار المدمر.. والسيارة تهتز في ارتجاجات عنيفة!

وبدأت «هند» ترتعد، فقد أخذ الظلام يحيط بهم، وقال لها جاسر مشجعا: هل أنت خائفة؟ ألا تعلمين أن العواصف شيء عادي في الصحراء وأنت مغامرة ورحالة فلماذا تخافين؟!..

قالت «هند» في همس: لم أكن اتصورها رهيبة هكذا.. إن الظلام يحيط بنا من كل جانب مع أني متأكدة من أن الشمس لم تغرب بعد!

جاسر: طبعا ـــ لم تغرب الشمس ـــ وبمجرد ان تنتهي العاصفة

سوف نراها مرة اخرى!! وفجأة ومرة أخرى اهتزت السيارة هزة عنيفة يمينا ويسارا ثم استقرت في مكانها والعاصفة حولها تشتد وتتصاعد..

وابتسم ياسر ابتسامة مرهقة وقال: وهذا ترحيب حار من الصحراء بنا

واستدار الى «عجيبة» الذي كان ما يزال ينبح في مكانه وصرخ فيه: كفى يا عجيبة كفى، يا عجيبة كفى، أنت تثير أعصابي.

قالت هند: لقد كان نباحه احساسا منه بهذه العاصفة، ترى لماذا ينبح الآن؟

تنهد علي وقال: إن ما أفكر فيه حاليا هو كيف تخرج السيارة من الرمال؟

جاسر: أما ما أفكر فيه أنا فهو لماذا تهتز السيارة هذه الهزات العنيفة، مع ان المفروض أنها قد غرست في الرمال..

وظلوا صامتين ينظرون إلى العاصفة من خلف الزجاج في دهشة شديدة، فقد كانت شيئا غريبا اقوى من كل ما تصوروه من قبل..

وكما بدأت العاصفة فجأة هدأت فجأة.. وانقشعت الرمال وظهرت الشمس وصفا الجو، ولم يعد أمامهم إلا الصحراء المنبسطة التي تحوي أسرارها بين رمالها.. كما تحوي عواصفها..

ونظر « ياسر » حتى تأكد من أن العاصفة قد انتهت تماما ثم قفز من السيارة ودار حولها، ثم أطل برأسه داخلها وقال: الحمد لله إن الهزة التي حركت السيارة منعتها من الغوص في قلب الأرض.. سنزيح بالجاروف من حول العجلات بعض الرمال، ثم نواصل رحلتنا على الفور..

وبحماسة قفز الثلاثة ومعهم «علي» وأمسك كل منهم جاروفا، واخذوا يزيلون الرمال بنشاط من حول السيارة. وجلس علي أمام عجلة القيادة وبدأ تحريك العربة والمغامرون الثلاثة يدفعونها بكل قوة حتى قفزت فوق الرمال وبدأت الحركة.. أسرع بها علي قليلا، وجرى المغامرون الثلاثة وراءه، ثم ابطأ من سرعته وقال ياسر ضاحكا: أليس الجري في الصحراء ممتعا؟!

وهجمت عليه هند في اللحظة التي صاح فيها جاسر: أنظروا.. أنظروا هناك..

وكان منظرا غريبا.. عشرات من الناس تجري وتتصايح وينادي بعضهم بعضا. وقد حمل كل على كتفه حملا خفيفا أو ثقيلا، ولكنهم يجرون بكل قوتهم.. وكأن هناك من يطاردهم. فيرتفع صوت صراخهم وبكائهم.. ويزيد من قوته فراغ الصحراء الذي يجعل الصوت يصل إلى أبعد مدى..

وبدون أي كلمة.. اندفع علي نحوهم بالسيارة.. حتى اقترب تماما منهم وتوقف، وصرخت « هند » في فزع: أنظروا ! إنّ فيهم بعض الجرحى !

كانوا مجموعة من العائلات.. شيوخا وشبابا وأطفالا.. وكلّهم يجرون وهم يحملون أحمالهم.. وكأنهم يهربون من شيطان يطاردهم!

قفز «ياسر» قريبا منهم وسأل أحدهم: ماذا حدث؟

لم يتكلم احد.. بل أخذوا ينظرون إليه في شك.. توقفوا. واقترب بعضهم من بعض ولم يرد واحد منهم على أسئلة «ياسر» المتكررة!

بدون تردد أمسكت «هند» حقيبتها الطبية.. وقفزت من السيارة واقتربت من أحد الجرحى.. كان طفلا محمولا على ظهر أمه.. أمسكته «هند» بكل رقة وقالت: يجب أن نطهر الجرح حتى يتوقف النزيف!

ولم تهتم بخوف الأم الذي بدا في نظراتها، وانما امسكت بالقطن والمركيروكروم وبدأت تطهر الجرح وتربطه.. وعندئذ توقف النزيف.. وتوقفت قطرات الدماء التي تسيل على ظهر الأم.

وطلبت من «جاسر» أن يحضر فراشا، وضعت عليه الطفل الجريح،



ونظرت الى آخر.. وقالت: هيا ساعدوني!

وكان الأعراب في ذلك الوقت قد توقفوا في شبه دائرة حول المغامرين الثلاثة الذين بدءوا يعملون في صمت في علاج الجرحى، وربط جراحهم وتطهيرها. حتى اذا اتموا مهتمهم وقفوا في مكانهم.. ونظر الثلاثة الى القبيلة المحيطة بهم.. وقال «ياسر» بابتسامة كبيرة: هل هناك خدمة أخرى يمكن ان نؤديها؟!

نظروا اليه.. وظلوا صامتين.. احتار «ياسر» ونظر الى شقيقه حائرا.

قالت «هند» بصوت خافت: لست ادري ماذا جرى لهم.. هل هم لا يتكلمون العربية، أم إنهم خائفون منا؟. كنت ارجو أن نكون قد نلنا ثقتهم بعد ما فعلناه!

فجأة تحرك «شيخ عجوز» وتقدم من الأولاد وقال: نشكركم كثيرا على ما فعلتموه معنا، ولكن هل يمكن أن تتموا جميلكم، وتنقلوا هؤلاء الجرحى الى هذا النجع!

وأشار بإصبعه جنوبا.. ولم يكن هناك أي نجع ظاهر في الصحراء! واقترب الثلاثة يتشاورون، وتساءلوا هل يتركون الخطة التي رسموها لرحلتهم ويتوجهون مع هؤلاء الناس إلى حيث يذهبون..

وقالت «هند»: أعتقد أن هذه حالة انسانية وضرورة لا بد منها،

فكيف نترك هؤلاء الأطفال الجرحى المساكين!

تقدم «ياسر» من الشيخ وقال: تحت أمركم.. لقد كنا متجهين الى «بئر خالدة» ولكننا على كل حال سنوصلكم قبل ذهابنا ثم نعود!

وصرخت الاعرابية «الأم» التي ضمدت هند جراح ابنها: لا.. لا.. لا تذهبوا الى هناك لا تذهبوا الى هناك!

وصرخ شيخ فيها: اصمتي.. ثم اتجه اليهم وقال: شكرا لكم.. وهيا بنا.. سيسير هذا الجمل أمامكم. انه يعرف الطريق جيدا!

تبادلوا النظرات في صمت.. واتجهوا الى السيارة.

وقفزت «هند» إلى السيارة من الخلف. كانت سيارة الجيب متسعة جدا.. ولها مقعدان متقابلان من الداخل كبيران اعدتهما «هند».. وبدأت تساعد الأطفال على الركوب. حتى اطمأنت إلى أنهم يجلسون بطريقة مريحة، ثم جلست بينهم.

وبدأت السيارة تتحرك وراء الجمل.. وقال «علي»: هل نسير على سرعة هذا الجمل؟!

جاسر: لا تسخر من الجمل. ستجد أنه يسير في الصحراء أسرع منك!

هذا ما حدث. فقد كان «علي» يحاول جاهدا أن يدرك الجمل

الذي يجري بخفة ورشاقة في حين تسير السيارة وسط الرمال بكل جهد ومشقة..

أما «هند» فقد اخرجت علبة من الحلوى وأخذت توزع منها على الأطفال.. حتى أخذوا يأنسون لها ويطمئنون إليها.. وسألتهم: أين تذهبون الآن؟

قال أحدهم: إلى نجع خالي «عمار»!

وفجأة انفجروا يبكون بطريقة هيستيرية. ويمسك بعضهم ببعض في رعب شديد. وصرخ اصغرهم وهو ينظر إليها: الزلزال.. الزلزال..

وكانت مشكلة.. لم تستطع أن تجعل الهدوء والسكينة يعودان إليهم الا بعد جهد شديد، وجلست بينهم في حيرة، وعادوا هم إلى الانكماش والجلوس في صمت كامل..

ومضى حوالى ساعتين وسط الرمال الناعمة الصفراء.. والحرارة الشديدة.. وجو التوتر الذي يسود الجميع.. وفجأة أشار راكب الجمل بيده إلى بعيد.

ونظر « علي ». لم ير شيئا في البداية — .. ثم بدأت تلوح له مجموعة من الاشجار.. أطراف أشجار.. ثم تتضح الرؤية كلما اقترب، حتى ظهرت الخيام الملونة الكبيرة.. ومرة اخرى أشار له «راكب الجمل» أن يتوقف..

وقف «علي» بالسيارة بجانب الجمل.. وقال له الراكب: انتظروني هنا.. لن أتأخر عليكم كثيرا..

وتحول «ياسر» و«جاسر» ينظران إلى داخل السيارة.. كانت «هند» حائرة وسط الأطفال، وان كان اكثرهم قد استغرق في النوم..

قال ياسر: هربنا إلى الصحراء.. لنهرب من المغامرات فاذا بها تسبقنا!

جاسر: ومن يدري؟! ان قلبي يحدثني أننا سنواجه مغامرة من أغرب المغامرات التي صادفتنا في كل حياتنا.

ياسر: إن كل مهمتنا الآن أن نسلم هؤلاء الجرحى.. ثم ننطلق عائدين لتتم رحلتنا كما خططنا لها.

هند: وهل هذا معقول؟ هل نمضي بدون ان نعرف الحقيقة وراء هؤلاء البؤساء المساكين! ولماذا تركوا ديارهم؟! ولماذا يرتعدون من الخوف؟!

وفجأة ظهر «راكب الجمل» عائدا مرة أخرى. اقترب منهم وقد ظهرت على وجهه علامات الحيرة الشديدة..

وقال: هل يمكن ان تنتظروا معي حتى يحضر باقي القوم؟!

ياسر: لماذا؟ ألن ينزل هؤلاء الأولاد هنا؟!

صمت الرجل كأنه يخشى الحديث.. ثم قال: أعتقد أنه لن يمكنهم البقاء هنا أيضا.

جاسر: لماذا؟

الرجل: لأن.. لأن قبيلة «عمار» سترحل أيضا!

جاسر: ما الذي يحدث هنا. لماذا ترحلون؟

الرجل: لا.. لا يمكن أن اخبرك.. لا شيء.. ولكننا نرحل. هذا كل ما استطيع ان اخبرك به..

تقدمت «هند».. وسألت بهدوء: هل يرحلون الآن؟

الرجل: غدا.. صباحا!

هند: إذن على الأقل يمكنهم أن يقدموا طعاما لهؤلاء الأولاد المساكين.. إن طعامنا لن يكفيهم!

الرجل: أعتقد ان هذا ممكن.. سأحدث عمي الشيخ «عمار» في هذا الأمر..!

وانطلق عائدا الى خيام القبيلة..

وجهت هند حديثها إلى «علي» قائلة: اقترب وراءه يا «علي» اقترب

إلى اقرب مكان ممكن.. يجب أن نعرف ماذا يجري هنا!

اقترب «علي» بالسيارة حتى وصل إلى قرب الخيام وأصبحوا في موقع يستطيعون أن يروا منه ما يحدث داخل القبيلة.

كانت مجموعة الخيام. بعضها صغيرة وبعضها كبيرة.. والبعض الآخر متناثر بعيد عن بعض، ولكن كانت هناك حركة واضحة، كانوا يجمعون أمتعتهم ويرتبونها استعدادا للرحيل.. وكان من الواضح انهم يفعلون ذلك مرغمين فقد كانت سيدات القبيلة تجمع الامتعة وسط البكاء والنواح!

وأخيرا عاد « الرجل » وقال: إنهم يعدون الطعام. ويرحبون بكم أيضا وبدعوتكم الى مشاركتهم في اكلة بدوية..

وسأل ياسر: هل نبقى طويلا؟!

ولم يرد «الرجل»، ولكن عينيه كانتا تتوسلان إليهم أن ينتظروا معهم!

وبدأوا ينقلون الجرحى إلى بساط كبير وضعوه وسط الخيام.. وبعد قليل كان الاولاد الصغار الجرحى يجلسون وسط مجموعة كبيرة من أصدقائهم.. وأخذوا يتحدثون بلهجة سريعة جدا.. لم يستطع المغامرون الثلاثة ان يفهموها.. فنظر بعضهم إلى بعض.. وتفاهموا بالنظرات بسرعة.. جلسوا وسط الصغار وأخذوا يتحدثون

معهم.. ووصل الطعام..



كمية كبيرة من اللحم المشوي اللذيذ، فشاركوهم الطعام.. ولم يتحدثوا اطلاقا عن رحيلهم عن بيوتهم.

وقال «ياسر» لهم: هل تحبون الصور؟ من منكم يريد ان التقط له صورة يأخذها مني بعد دقيقة؟!

وتصايح الأولاد.. أنا.. أنا.. أنا.

أسرع «ياسر» إلى السيارة وأحضر منها الكاميرا الحديثة التي يمكنه ان يلتقط بها الصورة، وتظهر واضحة في خلال دقائق..

اجلسهم متجاورين والتقط لهم صورة ثم انتظر قليلا واخرجها من الكاميرا.. وما أن رآها الاولاد حتى أخذوا يقفزون من الفرحة. وكل منهم يشير الى نفسه فيها.

والتفوا حول «ياسر» وكل منهم يطلب منه ان يصوره صورةٍ خاصة بمفرده.. وضحك «ياسر» وقال لهم: حسنا.. حسنا.. سأصور كلاً منكم صورة.. ولكن يجب ان نختار مناظر جميلة لتقفوا فيها.. فليختر كل منكم له مكانا.

وأخذوا يجرون في كل مكان بحثا عن موقع يختاره كل منهم ليكون خلفية لصورته التذكارية.

ابتسم جاسر وقال: سيصبح «ياسر» صديقا للجميع في أقرب وقت!

هند: أرجو أن يستطيع معرفة ما يحدث حولنا!

ونظر «جاسر» إلى الشمس.. كانت قد بدأت تميل الى الغروب. واستند الى جذع شجرة واخذ ينظر الى الحركة من حوله وقال: المنظر ساحر.. ولكنه غريب.. انظري الى هذه الامتعة التي يعدونها.. والى الدموع في عيونهم.. أليس هذا غريبا؟

هند: ومع ذلك تقول اننا سنعود الى طريقنا المرسوم.. هل هذا معقول؟

جاسر: غير معقول.. وغير ممكن أيضا. فلن يمضي وقت طويل حتى نغرق في الظلام..

هند: إذن سنبيت هنا الليلة!

جاسر: ونرحل معهم في الصباح!

وبدأ النسيم العليل يتلاعب في الجو.. وقالت «هند» وهي تستند على جذع الشجرة: أشعر أنني سأستغرق في النوم!

وفي هذه اللحظة بدأت أصوات ضجة تقترب وانتبه المغامران كان أهل النجع يقتربون.. وهم ما زالوا في نواح وبكاء وعويل.

وفجأة وجد المغامرون انفسهم وسط معمعة غير متوقعة. فقد ارتفع صوت أهالي النجع الذي يجلسون فيه يستقبلون القادمين بالصراخ والبكاء.. واختلط القادمون بالحاضرين.. وزادت الضجة من الحيرة التي وجد المغامرون أنفسهم غارقين فيها.

ومضى وقت طويل قبل أن تهدأ الضجة ويسود السكون الصحراء والنجع والناس..

اقترب «الرجل» الذي صاحبهم في حضورهم، واخبرهم انهم قد اعدوا لهم خيمة ليبيتوا فيها ليلتهم. وأشار إلى خيمة كبيرة نظيفة مفروشة بالسجاد والمراتب وقريبة من المكان الذي تقف فيه السيارة!

شكره «جاسر» وأخبره أنهم ينتظرون شقيقهم الثالث «ياسر» الذي ذهب ليصور الأولاد.. وكانوا قد لاحظوا أنهم يعودون واحدا بعد واحد ومع كل منهم صورة يجري الى خيمة ليريها لأهله.

ومضى وقت طويل.. وغرق الكون في الظلام فيما عدا بعض النيران المتناثرة امام الخيام وقبل ان تتكلم «هند» لتعبر عن خوفها من تأخر «ياسر» اذا به يقف امامها.. وكان وجهه ينطق بأنه يحمل أخبارا خطيرة.. وفي يده ولد في العاشرة من عمره قدمه لهم قائلا: إنه صديقي « عمر ». سيعود ليصطحبني بعد قليل في جولة ليلية!

وجرى الولد وفي يده الصورة وقال: سأعود في الموعد تماما..!

واسرع «ياسر» يجلس بينهم قائلا: عندي اخبار خطيرة أريد ان اتكلم معكم بشأنها ولكن بدون أن يسمعنا أحد.

أشار «علي» إلى الخيمة وقال: هيا بنا!

وفي داخل الخيمة قال لهم «ياسر» هامسا: اسمعوا!. يجب ان ننسى تماما خطتنا في الرحلة التي كنا قد قررنا القيام بها. ستتغير الخطة.. لن نترك هؤلاء الناس وحدهم ابدا.

همست «هند»: تحدث بسرعة. اخبرنا أولا ماذا تعرف؟!

ياسر: لقد استطعت بعد مجهود جبار أن أحوز ثقة هذا الصغير «عمر». وبعد محاولات كثيرة اخبرني بشيء لا يصدق.. إنهم سيهجرون ارضهم غدا قبل أن يأتي زلزال كبير يهز الأرض ويدمرهم كما حدث مع أهالي النجع الذين تقابلنا